الفصل الأول

قضية التهجم على الدين وأبعادها

١ – المؤلف يبدأ بمهاجمة الدين : دون مبرر واضح أو حجة مقنعة .

يزعم المؤلف بأن وسيلة المعرفة هى العقل . ودونه يكون الدين والخرافات، فكيفَ يُفْرَضُ على شبابنا الغض تعلم مثل هذا الاعتداء الصارخ على الدين ؟!

فى حين لم يجرؤ المستعمر من قبل على القول بمثل هذا فى مدارسنا . وتفصيل ذلك أن المؤلف ادعى فى صفحة « ١٤ » تحت عنوان « نشأة الفلسفة » : بأن الفلسفة نشأت فى بلاد اليونان قبل غيرها . معللا ذلك بأن اليونانيين كانوا يستخدمون العقل كوسيلة للمعرفة ، فى حين كانت بلادنا (أى دول المشرق) تستخدم الخرافات والدين بدلاً من استخدام العقل .

فانظر كيف زيف الحقيقة والتاريخ مرتين فى عبارة واحدة . حيث افترى على الدين فوضعه مع الخرافات وجرده من العقل . كما أدعى بأن الفلسفة نشأت فى بلاد اليونان قبل غيرها .

الإسلام دين العقل بشهادة الأعداء :

ونرد على مؤلفنا لوضعه الدين مع الخرافات . وتصويره له بأنه مضاد للعقل . فنقول بأن ميزة الإسلام الكبرى أنه لا يتعارض مع العقل . وأن الأعداء أنفسهم قد شهدوا بذلك . فهذا هو الكاتب الفرنسى الماركسى المشهور (مكسيم رونسون) يقول (القرآن كتاب مقدس تحتل فيه العقلانية مكانا جد كبير . فهو فى مناسبات عديدة يكرر لنا أن الرسل قد جاءوا « بالبينات » . وهو لا يألو يتحدى معارضيه أن يأتوا بمثله . كما أنه ما ينفك يقدم البراهين العقلانية على القدرة الإلهية . ففى خلق السماوات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، وتوالد الحيوان ، ودوران الكواكب والأفلاك ، وتنوع خيرات الحياة الحيوانية والنباتية تنوعاً رائع التطابق مع حاجات البشر – آيات لأولى الألباب) .

وعندما قارن الكاتب بين عقلانية الإسلام وما جاء فى العهدين القديم والجديد قال : (إن العقلانية القرآنية صلبة كأنها الصخر) .

كما أن المؤرخ والفيلسوف جوستاف لوبون يقول بأن العرب هم الذين علموا العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين) .

ويقول العلامة رينيه ميليه : « لقد جاء المسلمون جميعا فى بحث جديد : مبدأ يتفرع من الدين نفسه ، هو مبدأ التأمل والبحث ، وقد مالوا إلى العلوم وبرعوا فيها ، وهم الذين وضعوا أساس علم الكيمياء . وقد وجد منهم كبار الأطباء » .

ويقول الدكتور فرنتورونثال : « إن أعظم نشاط فكرى قام به العرب يبدو لنا جليا فى حقل المعرفة التجريبية ، ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم . فإنهم كانوا يبدون نشاطا واجتهادا عجيبين . حين يلاحظون ويمحصون ، وحين يجمعون ويرتبون ما تعلموه من التجربة »[1] .

---

(١) من مقال د . يوسف القرضاوى بجريدة الشعب ٨٦/٣/١٨ .

كما أنه قد دخل فى الإسلام بسبب ذلك الكثير من علماء الغرب ومفكريه . ومن آخرهم **الفيلسوف الفرنسى** رجاء جارودى ، **والعالم الإنجليزى** آرثر أليسون **رئيس قسم الهندسة الألكترونية بجامعة سيتى البريطانية والذى أعلن إسلامه عقب مؤتمر الإعجاز الطبى الذى عقد بالقاهرة عام ١٩٨٥** . وقال وقتها : (**إن القرآن الكريم يتمشى مع العقل ولا يتناقض مع العلم . وإن الإسلام دين الفطرة الذى يخاطب العقل والوجدان**)[١] .

٢ - المؤلف يبشر بعقائد بديلة عن الإسلام :

فبعد أن شوه المؤلف عقيدة السلف الصالح ، أخذ يعرض البدائل من عقائد أهل الزيغ والضلال . وذلك من بداية الكتاب حتى نهايته . مما سنرد عليه فى الصفحات التالية إن شاء الله . ومن أمثلة العقائد التى عرضت « الفلسفة البرجماتية الوضعية » . وهى عقيدة الأمريكان ، حيث عدَّد المؤلف مميزاتها ، وزينها للعقول ، ولم يذكر لها سيئة واحدة . ونقل عنها فى ص ١٠٨ قوله : (إن وظيفة العقل فى الفلسفة البرجماتية هى البحث عن حل لمشكلات الحياة اليومية ، وليس الانشغال بالمشكلات النظرية الميتافيزيقية (أى الغيبية) . وهكذا يجعل الإنسان كالبهيمة ليس لعقله من وظيفة سوى البحث عن أمور معاشه اليومية المادية الحيوانية . أما أمور دينه وربه ومستقبله فى آخرته وغيرها من الغيبيات فإنها فى رأيه أمور خرافية) . فى حين أن الإسلام يرتفع بغاياتنا العملية المحسوسة إلى طلب الآخرة ومرضاة الله تعالى . أى أننا كما نؤمن بأهمية العقل فى عمارة الأرض ، نؤمن كذلك بالغيب وأهمية طلب العون من الله تعالى . ذلك العون الذى يأتى مؤيداً للمؤمن الآخذ بأسباب العمران ، والمتوكل على الله فى آن واحد .

فما الذى حال بين المؤلف وبين التعليق على كل عقيدة فاسدة بمثل هذا التعقيب ؟

٣ - حقيقة زكى نجيب وحقيقة الشيطان الذى يستقى منه فكره :

أولا : زكى نجيب محمود : هو كبير مؤلفى الكتاب . وهو ممثل الفلسفة الوضعية الملحدة فى العالم العربى . تلك الفلسفة التى تبشر بالإلحاد العلمى المعاصر . أو الإلحاد القائم على العلم التجريبى كما يزعم . وغير ذلك من الصفات التى سنفصلها فى موضعها .

---

(١) جريدة الأهرام ص ٦ بتاريخ ١٩٨٥/٩/٢٩ .

ثانيا : أما الشيطان الذى يعتنق زكى نجيب مذهبه الإلحادى فهو أوجست كونت زعيم الفلسفة الوضعية الملحدة فى العالم ومؤسسها الأول . حيث يدعى هذا الرجيم أن قوانين العلم التجريبى تغنى عن الإيمان بالله . ويزعم أن هذه القوانين تدل على أن الطبيعة لها وجود مكتف بذاته .

ونص كلام كونت فى هذا هو قوله « إن الاعتقاد فى ذوات عاقلة أو إرادات عليا لم يكن إلا تصوراً يخفى وراءه جهلنا بالأسباب الطبيعية . وأن العالم الطبيعى لا يبقى فراغاً يسده الاعتقاد بوجود إله . ولا يبقى سببا يدفعنا إلى الإيمان به »[٢] .

الرد على ضلالات كونت – زعيم الإلحاد العالمى الحديث – :

يدعى كونت بأن التفكير البشرى مر بثلاث مراحل سماها « قانون الأحوال الثلاثة » وهى على التوالى : ١ – الحالة الدينية ٢ – الحالة الميتافيزيقية ٣ – الحالة العلمية أى الوضعية كما يسميها .

ثم يزعم بأنه بمنطق التطور التاريخى الحاسم يصبح الدين والميتافيزيقا ليسا سوى خرافات ورثناها من القرون السابقة ، وقضت عليها حاليا سيادة العلم الحتمية . ويدعى بأن أى محاولة لإحيائها أو الدفاع عنها تعتبر عملا من الأعمال المضادة لطبائع الأشياء[٣] .

وهذا القانون خاطىء من أساسه بدليل أن « كونت » نفسه اعترف بوجود التعاصر بين هذه الحالات الثلاث فى الفكر السائد حينذاك . وإن كان « كونت » قد فسر ذلك التعاصر بأنه مؤقت وأنه لا يمكن أن يستمر ، إلا أنه قد خاب فأله ، واستمر هذا التعاصر إلى وقتنا الحاضر . أى بعد مضى ١٥٠ سنة . حيث يوجد حاليا التنجيم وقراءة الطالع وغيرها من الخرافات المنتشرة شرقا وغربا .

كما أن « كونت » نفسه انتهى بوضع دين جديد سماه « دين الإنسانية » . وبذلك نقض ما سبق أن قرره فى « قانون الأحوال الثلاثة » .

٤ – كراهية المؤلف للدين تفوق كراهية كونت نفسه :

ففى الغرب كان الدين مصانا عن النقد فترة طويلة حتى جاء عصر « كونت » حيث ظهرت رغبتهم فى مقاومة نفوذ الكنيسة الكاثوليكية وتصحيح مسارها وليس مقاومة الإيمان فى ذاته[٤] .

---

(٢) الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة . د . يحيى هاشم ص ٥ طبعة دار المعارف ١٩٨٤ .

(٣) نفسه ص ١١ .

(٤) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى . د . محمد البهى ص ٢٤١ مكتبة وهبة بالقاهرة .

أى أنهم فى الغرب لم ينقدوا الدين الإلتنقيته من العقائد غير المعقولة التى ظهرت فيه مثل عقيدة التثليث . وعقيدة ألوهية عيسى . والاعتقاد بعصمة البابا وغيرها . أى أنهم لم ينقدوا الإيمان فى أصله . بل نقدوا الطارىء عليه مما لا يستقيم مع العقل الإنسانى الواضح . بدليل أن المذهب الوضعى نفسه فى الوقت الذى ينكر فيه دين الكنيسة يضع دينا جديدا بدلا منه هو « دين الإنسانية الكبرى » .

بل والأكثر من ذلك أن كونت نفسه انتهى إلى تفضيل الإسلام على ماسواه فى قوله : (إنه لا يمكن لدين أن يتمشى مع الحالة الوضعية إلا الإسلام ؛ لأنه دين عارٍ عن الحماقات ويتميز ببساطته وعقلنته وقدرته على إشباع رغبة البحث عن الإله) عن كتاب « د. رشدى فكار المفكر الإسلامى العالمى » تأليف خميس البكرى ص ٥٩ .

ولكن مؤلفنا فى مصر ارتضى لنفسه أن يكون مردداً لمفكرى الغرب فى الهجوم على دين ليس ثمة داع لمهاجمته . وهو الإسلام . لمجرد أنه قرأ ما يشبه الهجوم على المسيحية باسم النقد العلمى أو العقلى[٥] .

٥ - كراهية المؤلف للدين ليس لها مبررات الغرب فى كراهيته لدين الكنيسة :

فرجال الكنيسة فى العصور الوسطى قاوموا الحركة العلمية الناشئة . وطاردوا العلماء واضطهدوهم على أساس من حقدهم الصليبى على الإسلام . لأن هذه الحركة العلمية كانت قد وفدت إليهم من بلاد المسلمين عقب الحروب الصليبية . واعتبرتها الكنيسة زحفا حضارياً إسلامياً يخشى منه على مكانتهم فى نفوس أتباعهم . فأنشأت لهؤلاء العلماء تلك المحاكم التى عرفت فى التاريخ باسم محاكم التفتيش . والتى استحلت دماءهم وأموالهم ولاحقتهم فى المدن والقرى والغابات والكهوف . واعتبرتهم كفرة وزنادقة . وكان الويل كل الويل لمن يشتغل بشىء من العلوم التى جاءت من بلاد المسلمين . أو من يصدق شيئا مما اكتشف من حقائقها . ويقدر عدد الذين قتلتهم الكنيسة من هؤلاء ٣٠٠ ألف منهم ٣٢ ألف حرقوا وهم أحياء[٦] .

وانتهت تلك المعركة بهزيمة الكنيسة وخرافاتها أمام العلم الوافد من الحضارة الإسلامية وحقائقه وبذلك تمهد الطريق لظهور الفلسفات الإلحادية التى تعبر عن مقت الناس لدين الكنيسة وطغيانها .

الإصلاح الدينى فى الغرب جاء هزيلا : فلم يحل الإصلاح الدينى دون ظهور فلسفات الإلحاد .. كانت العقلية الأوروبية قد تأثرت بالتصورات الإسلامية ونظرتها إلى الدين.

---

(٥) المرجع السابق ص ٢٤٨ .

(٦) زهير إبراهيم الخالد . سطحية التفكير لدى الملحدين كتاب محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٣٩٥ هـ ص ٢٠٩ .

فظهرت دعوات لإصلاح دين الكنيسة تنادى بجعل حق الغفران لله وحده وليس للكنيسة . وقد قال بذلك حنا هورس وتلميذه جيروم ولكنهما أحرقا أحياء . ورغم هذا فقد ظهرت دعوات إصلاحية أخرى كثيرة وأشهرها دعوة لوثر التى أنكرت الرهبنة . وأباحت الزواج لرجال الدين . ومنعت الصور والتماثيل من الكنائس . وكل ذلك كان قد أُخذ عن الإسلام وتأثر به .

ولكن هذه الدعوات الإصلاحية لم تستطع أن توقف رد الفعل الذى تركه طغيان الكنيسة فى نفوس الأوروبيين . كما أنها لم تستطع معالجة الكثير من الانحرافات الوثنية التى حلت بالنصرانية .

ظهور الفلسفات الإلحادية :

(أ) **الفلسفة العقلية** : لدوركايم وغيره .

وهى تعتمد على العقل كمصدر أساسى للمعرفة . وتقدمه على الدين خاصة الديانة الكاثوليكية . أى أن الفلسفة العقلية جعلت للناس إلها آخر هو العقل وديانة آخرى هى الفلسفة العقلية .

وسمى هذا العصر الذى سيطرت فيه الفلسفة العقلية بعصر التنوير . والتنوير عندهم يقصد به إبعاد الدين عن مجال التوجيه وإحلال العقل محله .

(ب) **ثم جاءت الفلسفة الوضعية** : « التى يعتنقها مؤلفنا » لتقضى على كل من الدين والفلسفة العقلية وتبعدهما عن الحياة كلية . وذلك لأن الفلسفة العقلية لم تستطع معارضة المعرفة التى تملكها الكنيسة . وهى الاعتقاد بأن هناك آخرة وغيب . وهو ما يسمونه « بالمعرفة الميتافيزيقية » أى ما وراء الطبيعة . وهو العلم الذى كانت الكنيسة ما زالت تملكه وتعارض به خصومها . فجاءت الفلسفة الوضعية لتنكر الغيب كله نكاية فى الكنيسة . ولا تعتد إلا بالمعرفة الحسية وحدها . وتعتبرها المصدر الوحيد للمعرفة ، وليس مجرد مصدر أساسى متقدم على الدين كما فعلت الفلسفة العقلية . ولذلك فالفلسفة الوضعية ترى الدين والفلسفة العقلية وهماً وضلالاً . وتنكر أى معرفة تأتى عن طريقهما ، وتجعل مصدر المعرفة الوحيد هو الحس ، أو ما يسمى بالطبيعة . وليس العقل أو الدين .

(ج) **الماركسية والوجودية آخر صور الإلحاد** : مما سنوضحه فى موضعه .

٦ - المؤلف بوضعيته يدعو إلى وثنية أعتى من الجاهلية الأولى :

فالوضعية بجعلها الطبيعة خالقا تصبح أكثر إسفافا وخرافية من شرك العرب الذين عبدوا الأوثان . لأن العرب رغم وثنيتهم كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق . وأن الأصنام

ليست إلا وسيلة تقربهم إلى الله زلفى لقوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر .. ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾ [العنكبوت ٦١] .

والأنكى من ذلك أن هؤلاء الوضعيين والماركسيين لو قدمت لهم الأدلة الحسية المشاهدة التى يعتمدون منطقها ولا يعترفون بغيرها فإنهم لا يؤمنون بها ويتنكرون لها إن دلت على قضية لها صلة بالدين ، لما وطنوا عليه عقولهم من الكفر بكل قضية تتصل بالدين وفى هذا يقول الله تعالى : ﴿ ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا : إنما سكرت أبصارنا . بل نحن قوم مسحورون ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية ... ﴾ .

٧ - المؤلف ومن على شاكلته ليسوا إلا أدوات لمحاربة الدين :

وإن كانوا يختفون وراء شعارات زائفة مثل قولهم بأنهم رسل التجديد أو العصرية .... إلخ . وقد وصفهم الدكتور محمد البهى بقوله « هناك تيارات فكرية تستتر وراء عناوين خادعة . وهى فى جوهرها محاولات عنيفة لفصل المسلمين عن دينهم . ووضعهم فى مجال التبعية لغيرهم . وإذ يحسّن كل تيار منها اتجاهه الخاص به فى نظر الشباب المسلم ، يحاول فى الوقت نفسه أن يشوه رسالة الإسلام . أو يصفها على الأقل بأن دورها للبشرية قد انتهى ، ولم تعد صالحة اليوم لحل مشاكل المجتمعات الإنسانية .... وهذه الاتجاهات المغربة التى تنادى بتجديد الفكر الإسلامى تسير فى طريق خدمة الاستعمار منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . ولكن من غير قصد مباشر . حيث تدعو إلى الفكر الإلحادى المادى المتمثل فى التيار الوضعى أو الماركسى فى مواجهة الإسلام . وتعمل على فصل الدين عن الدولة ، والاستعاضة بالنظام الغربى عن الشريعة الإسلامية . وتقلل من شأن الروحية الدينية أو تستخف بها . وهذا هو ما يسمى بالاتجاه المادى العلمى . الذى يقوم أساساً على إلغاء الاعتقاد فيما وراء الوجود المشاهد . واعتبار الإيمان بالله والدين القائم على هذا الإيمان ضربا من العبث أو الخداع »[٧] .

ومن الأمثلة التى استشهد بها الدكتور محمد البهى ما ورد فى كتاب (خرافة الميتافيزيقا) والذى حاول فيه مؤلفه زكى نجيب أن ينال من فكرة الألوهية مما سنفصله فى الفقرة التالية .

٨ - المؤلف يتهجم على لفظ الجلالة « الله » ويسخر من المؤمنين بالغيب :

لم يقتصر سموم المؤلف على طلاب الشهادة الثانوية وحدهم. بل امتدت إلى الجامعة

(٧) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى للدكتور محمد البهى ص ٥ .

حيث فرض على طلاب الآداب دراسة كتابه خرافة الميتافيزيقا، رغم ما فيه من السخرية بالعقيدة والدين. وقد نقده الدكتور محمد البهى بقوله « فى بعض كليات الآداب يدرس كتاب « خرافة الميتافيزيقا » . وهو كتاب منقول من الفكر الأوربى المادى، ويهدف إلى بيان أن العبارات الميتافيزيقية – أى التى تخبرنا عن أشياء غير مُحَسَّة عبارات فارغة من المعنى – يقصد عالم الغيب – دون أن يستثنى من ذلك الدين أو يراعى قدسيته . ودون أن يصون اسم الله جل جلاله فيبتعد به عن هذا النقاش »[٨] .

وينقل الدكتور محمد البهى عن كتاب خرافة الميتافيزيقا أقوالا للدكتور زكى نجيب فيها الكثير من الإيهام والتعمية مثل قوله : (إن الميتافيزيقى يصف الكائنات غير المُحَسَّة والتى يزعم وجودها بصفات معينة . فإذا طلبت إليه أن يدلك على الخبرة الحسية التى من شأنها أن تطلعك على تلك الكائنات حتى ترى بنفسك إن كانت حقا موصوفة بالصفات التى زعمها أو لم تكن أجابك بأنها ليست مما يُحَسُّ .. وإذن هو موقف عجيب .. وكلام الميتافيزيقى فارغ لا يحمل معنى .. والميتافيزيقى رجل متحكم لا يدلنا بالخبرة الحسية عن موجوداته التى يدعيها . وسلوكه فى المعرفة يخالف عرف الناس لأنه لا يبتدىء فيها بشهادة الحواس)[٩].

ثم يستطرد زكى نجيب فيقول : (إذا كانت العبارات الميتافيزيقية رموزا فارغة خالية من الدلالة والمعنى ، وأنها كلام لا ينفع السامع شيئا لأنها لا تدل على شىء ، فكيف وقع هذا الوهم العجيب ؟ وكيف نمت تلك الأسطورة الكبرى ؟) ويرد زكى نجيب على نفسه (نشأت الميتافيزيقا من غلطة أساسية .. وهى الظن بأنه ما دامت هناك كلمة فى اللغة فلابد أن لها مدلولاً ومعنى . وكثرة تداولها فى اللغة ووجودها فى القواميس يزيد الناس إيمانا بأنها يستحيل أن تكون مجرد ترقيم أو مجرد صوت بغير دلالة . لكن التحليل يبين لك أن مئات الألفاظ المتداولة والمسجلة فى القواميس هى ألفاظ زائفة أو هى أشباه ألفاظ . وما أشبه الأمر هنا بظرف يتداوله الناس فى الأسواق مدة طويلة على أنه يحتوى على ورقة من ذوات الجنيه ، حتى يكتسب الظرف قيمة الجنيه فى المعاملات . وبعدئذ يجىء متشكك ويفض الظرف ليستوفى من مكنونه ومحتواه ، وإذا هو فارغ . وكان ينبغى أن يبطل البيع به والشراء لو تنبه الناس إلى زيفه من أول الأمر)[١٠] .

ويتساءل الدكتور محمد البهى قائلا (ترى أى كلمة تلك التى تتداول فى كثرة، وهى

---

(٨) كتاب الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى للدكتور محمد البهى ص ٢٤٠ . عن كتاب خرافة الميتافيزيقا للدكتور زكى نجيب محمود ص ١١ .

(٩) المرجع السابق ص ٢٤١ .

(١٠) المرجع السابق ص ٢٤٢ عن كتاب خرافة الميتافيزيقا للدكتور زكى نجيب ص ١٠٤ .

أشبه بالظرف الذى يحتوى على ورقة من ذوات الجنية ؟) يقول د . البهى (من السهل تحديد هذه الكلمة المتداولة فى كثرة والتى ظن الناس منذ مدة طويلة أن لها قيمة كبيرة وهى زيف لا قيمة له فى التعامل لو تنبه الناس إلى ذلك . إنها « الله » . وهكذا يكون لفظ الجلالة « الله » عنده فارغا لا مدلول له وأنه خرافة !![١١] .

الوضعية تتشابه مع الوثنية :

فكفار مكة خدعتهم حواسهم فاعتقدوا أن أصنامهم (أى الأحجار المحسة) لها تأثير إيجابى أو سلبى فى حياتهم ، وأنها آلهة تعبد ، وطاوع عقلهم ما انخدع به الحس . فكان العقل هو أيضا ظناً وهوى لا علماً وحقيقة واقعة . والإنسان قد يدفعه طغيانه إلى إنكار عقله وإنكار خالقه وأصل وجوده . مع الإيمان فقط بما يتصل بشهوة بطنه وفرجه وغيرها مما يحس . وذلك هو الإنسان صاحب الفلسفة الحسية . فمن عقله يحدد خصائص الوجود . ومن عقله أو نفسه أو حسه يلون العالم الذى يعيش فيه .

فحسن الظن بالحواس أو الثقة فى العقل قد تحملنا على أن نخدع بأحداهما أو بكليهما . وهو نفس الأساس الذى قامت عليه الفلسفة الوضعية . حيث تجعل الطبيعة أو الحس هما مصدر المعرفة والحقيقة . وبناء على ذلك فهم يرون أن الدين والوحى الذى من عند الله خداع وباطل . كما يعتبرون أن المثل العقلية هى أيضا وهم لأنها لم تستلهم من الطبيعة المحسة[١٢] .

ومع تقدير الإسلام للعقل الإنسانى إلا أن لهذا العقل دوراً محدوداً . فكما أن العين لا ترى إلا إذا ظهر النور . فكذلك العقل لا يهتدى إلا بالرسالة . وخطأ الفكر الفلسفى أنه يلجأ إلى العقل فى مسائل العلم الإلهى ولا يلجأ إلى الوحى أى يضع العقل فى موضع الأصل والعكس هو الصحيح . فما دام الإنسان مخلوقاً مربوباً مصنوعاً فإنه ينبغى الرجوع إلى خالقه وفاطره وصانعه طالبا العلم والعمل . لأن هذ هو الترتيب الموافق للحقيقة[١٣] .

تطور الوضعية من سيء على يد « كونت » إلى أسوأ على يد دور كايم اليهودى :

إذا كان « كونت » قد هاجم دين الكنيسة فإنه قد نادى بدين سماه « دين الإنسانية ». كما نادى برفع شأن الأخلاق . وعول عليها تأسيس المجتمع .

أما دور كايم اليهودى فقد عارض ذلك كله وقال بأن الوضعية تقنع ببحث ما هو كائن وترفض مناقشة ما ينبغى أن يكون ، وترتب على ذلك فقدان الحماس لأية قيم

---

(١١) نفسه ص ٢٤٣ . (١٢) نفسه ص ٦٢٦ ، ٢٦٧ .

(١٣) الإسلام والمذاهب الفلسفية للدكتور مصطفى حلمى ص ١٨٤ طبعة دار الدعوة بالاسكندرية ١٩٨٥ .

خلقية . وقلده فى ذلك هربرت سبنسر الذى استبعد فكرة المثل الخلقية المطلقة ونادى بالوقوف عند الظواهر الحسية التجريبية وحدها . والتى تخضع لقانون التطور المعتمد على فكرة « البقاء للأصلح والأقوم » . والنتيجة هى تقدم الأقوياء وسقوط الضعفاء . وهذه النتيجة هى أساس تقدم النظام الرأسمالى(١٤) .

ثم انبثق عن الفلسفة الوضعية أخيرا البراجماتية الأمريكية التى سنفصلها فى موضعها .

٩ - الأدلة التى تبين اتجاه المؤلف « زكى نجيب محمود » وحقيقة مذهبه :

نستقيها من أقوال كبار المتخصصين فى دراسة العقائد :

الدكتور محمد البهى : حيث يقول :

« إن كتاب (خرافة الميتافيزيقا) للدكتور زكى نجيب محمود يقصد به التعمية وهو فى الواقع يهدف إلى إنكار الدين والحقائق الإيمانية »(١٥) .

د . محمد عبدالهادى أبو ريده : حيث يقول :

إن الوضعية المنطقية تعد محاولة جديدة لهدم الفلسفة المثالية . وهدم الميتافيزيقا بقصد غير صريح وهو محاربة الإيمان بوجود الله وكل ما يتجاوز عالم الحس . ويجزم أبو ريده بأن استخدام التحليل المنطقى على يد الوضعيين المناطقة يؤدى إلى زعزعة الإيمان وأن موقفهم هذا فاسد إلى حد السخف . وأنهم يضيقون نطاق المعرفة إلى أقصى حد)(١٦) .

د . محمد ثابت الفندى : حيث يقول :

الوضعية المنطقية مدرسة مريضة حقودة.لأن تحليلهم يستند إلى التجربة الحسية وحدها ولا يستند إلى كل قوى الإنسان العارفة كالعقل والذوق والحدس والضمير والروح . كما يرى أن تمسك الوضعية بالجانب الحسى وحده من الحياة إنما يهدف إلى استبعاد الفلسفة التى تؤكد وجود الله سبحانه وخلود النفس وحرية الإرادةوحدوث العالم وغيرها من القيم التى من أجلها عاش الإنسان وجاهد . وانتهى إلى اعتبار الوضعية مرضا لغوياً فى العقل(١٧) .

د . ماجد فخرى : حيث يقول :

إن فئة من الجامعيين زعمت أن الدين خرافة . وقد استند البعض منها فى ذلك

---

(١٤) قصة الفلسفة . د . مراد وهبه ص ١٠٦ . دار المعارف سلسلة اقرأ .

(١٥) الفلسفة فى الوطن العربى المعاصر ص ١٨٢ . د . أحمد ماضى عن كتاب الفكر المادى الحديث لمحمد عثمان ص ٤٧١ .

(١٦ ، ١٧) المرجع السابق ص ١٩١ عن كتاب مبادىء الفلسفة والأخلاق . أبو ريده ص ١٧٧، ١٧٨ .

على الوضعية المنطقية . وذلك لأن زكى نجيب محمود كان قد عالج فى كتابه (خرافة الميتافيزيقا) المسائل الغيبية على أسس قد يلزم عنها إنكار وجود الله[١٨] .

د . محمود أمين العالم :

ينقد الوضعية المنطقية بقوله : (إن زكى نجيب محمود هو الصوت الوحيد الذى يعبر عن الفلسفة الوضعية فى شرقنا العربى[١٩] .

د . إبراهيم فتحى :

ينقد الوضعية المنطقية بقوله : (إن الوضعية المنطقية عندنا ليست تياراً فكرياً تعتنقه قوى اجتماعية ضيقة أو واسعة . بل هو تيار ظل كما بدأ مجرد فئة ذات فرد واحد هو زكى نجيب محمود)[٢٠] . كما يقرر (أن الفلسفة الوضعية لا تصلح أن تكون سلاحاً من أسلحة التنوير . بل هى أقرب إلى أن تكون فلسفة من فلسفات التعمية[٢١] .

غير أن إبراهيم فتحى لكونه يساريا فإنه : يثنى على زكى نجيب فى هجومه على المنهج الإسلامى،ولا يرى فى زكى نجيب من حسنة سوى محاربته للفكر الإسلامى الصحيح . وفى هذا يقول : (إن برنامج زكى نجيب التنويرى تحقق فى أن سهام نقده ألحقت ضرراً بالقيم الرجعية-« يقصد الإسلام » . ونحن لا نندهش حينما نرى العداء الذى بين الماركسيين والوضعيين يتلاشى حينما تكون القضية هى مهاجمة الإسلام. فكلاهما مادى إلحادى وكلاهما تحركه أصابع الماسونية وغيرها من مخططات الصهيونية العالمية .

وهذا أيضا عبدالفتاح الديدى ينقد الوضعية المنطقية فيقول : بأن تحديداتها حسية ساذجة . وأنها لم تستطع الوقوف أمام منابع الفكر الحقيقى . ويصف الفيلسوف الوضعى بأنه يرتكن إلى ضرب من الوهم حينما يتصور أن حلول المشاكل كلها قد توافرت له بعد أن استتب له الأداء اللغوى .

ويقول أن الوضعى المنطقى لا يتصور مجالا يدعى مجال الدين أو القيم أو غيرها من المعنويات. فهو يريد أن يرى فقط حديدا يتحرك أو طوباً يقع،كى يفطن إلى وجود المسائل الفكرية . أما المعنويات الأخرى فهى مسائل لا يدركها،ولا يفهمها ولا يريد أن ينصت لأى أقوال تتعلق بها مما يدل على المغالاة .

---

(١٨) المرجع السابق ص ١٩٤ .

(١٩ ، ٢٠) المرجع السابق ص ١٧١ عن كتاب نقد العقل الوضعى (دراسة فى الأزمة المنهجية لفكر زكى نجيب تأليف عاطف أحمد ص ١٨ .

(٢١) المرجع السابق ص ١٨٥ .

ويختم الديدى نقده بقوله إن أخطر ما فى عمل الوضعى المنطقى أنه يتحدث باسم المنطق رغم أن لم يظهر لديهم منطقى واحد بالمعنى الصحيح .

ورغم نقد الديدى للوضعية إلا أنه بصفته اشتراكيا ناصريا،يعود فيمتدحها لمعاداتها عقيدة السلف الصالح . حيث يقول : (الوضعية المنطقية فى مصر رغم عيوبها إلا أنها شاركت مشاركة فعالة فى إبعاد العقلية السلفية)[٢٢] . وهكذا ينسى أعداء الإسلام خصوماتهم التقليدية إذا كانت القضية هى تشويه الإسلام .

الدكتور عبد الرحمن بدوى :

يصف دور الوضعية المنطقية بأنه (تافه وطفيلى وفيه مبالغة فجة)[٢٣] .

والدكتور توفيق الطويل : يقول :

(من يمعن النظر فى الموضوعات التى تعالجها الفلسفة الوضعية لا تهزه مناقشاتها التافهة التى لا تحمل من الناحية الاجتماعية أى معنى)[٢٤] .

والدكتور محمد على أبو ريان : يقول :

(إن الوضعيين المناطقة قبلوا أن يكونوا ذيلا للعلم . وإنهم لن يفيدوا العلم بشىء رغم شدة تقربهم إليه . وذلك لأن الفلسفة التى يستفيد منها العلم هى التى تسبق العلم فتقدم له الفروض المثمرة وطرق البحث)[٢٥] .

ولذلك يقول **صلاح قنصوه** : إن الوضعية المنطقية تقف عند أقدام العلم بنتائجه الراهنة لكى تتسقط قضاياه بالتحليل[٢٦] .

أما **محمد الجابرى** : فيؤكد أن إهمال الوضعية المنطقية لما لا يمكن التحقق منه إلا بالتجربة الحسية يمكن أن يؤدى إلى توقف العلم . لأن العلم يحتاج إلى ابداعات الخيال والعقل ليصل إلى الاكتشاف[٢٧] .

---

(٢٢) الاتجاهات المعاصرة فى الفلسفة لعبد الفتاح الديدى ص ٣١١ .

(٢٣) الفلسفة فى الوطن العربى المعاصر ص ١٨٨ عن كتاب مدخل جديد إلى الفلسفة للدكتور عبدالرحمن بدوى ص ٢٥٣ .

(٢٤) المرجع السابق ص ١٨٩ عن كتاب أسس الفلسفة للدكتور توفيق الطويل ص ٢٧١ .

(٢٥) المرجع السابق ص ١٩٠ عن كتاب الفلسفة ومباحثها لمحمد على أبو ريان ص ١٧٠ .

(٢٦) المرجع السابق ص ١٨٤ .

obeikandl.com

أما **زكريا إبراهيم** : فيرى أن الوضعية المنطقية تقضى على خصوبة الفكر البشرى(٢٨) .

أما **ناصيف نصار** : فينقد زكى نجيب لأنه حصر مهمة الفلسفة فى تحليل قضايا العلم. منطلقا من واقع سيادة العلم فى الغرب لا من واقع المجتمعات العربية . وكان الواجب عليه أن يحلل قضايا الدين والأخلاق على الأقل بقدر ما يهتم بتحليل قضايا العلم إذا أراد أن تكون مساهمته الفلسفية متجاوبة مع واقع مجتمعه وعصره ، ويتحرر من الموقف التبعى . وأضاف نصار قوله بأن زكى نجيب لم ينتبه إلى هذا الأمر الأساسى،فبقى بعيداً عن قلب المشكلة(٢٩) .

الغرب ينقد الفلسفة الوضعية :

كتب ريتشى أستاذ الفلسفة بجامعة ادنبره باسكتلنده عام ١٩٣٧ يقول : (إن الفلسفة الوضعية المنطقية لا تؤمن إلا بالمحسوس،وبخاصة فى مجال البحث العلمى،فى حين أن العالم ينبنى من معطيات الحس وأشياء أخرى مما ليس من معطيات الحس)،ويضيف قوله (إن خطأ الوضعية المنطقية ناشىء من سوء فهمهم لطبيعة البحث العلمى).ووصف تقديرهم لعملية التحقق العلمى بأنها مجرد أسطورة أو ضرب من الميتافيزيقا الفاسدة،وقال بأن الوضعيين ليسوا سوى بعض النقاد الجالسين فى حجراتهم ، الذين اعتادوا أن يخفوا فشلهم وراء ضباب من الألفاظ والعبارات . ونادى بأن تقف الوضعية عند حد النقد الساذج،ولا تحاول فرض مبادئها الخاطئة على نظريات العلوم ؛ لأن العلم يرفض ذلك .وقال أيضا : بأن الوضعيين قد نصبوا أنفسهم نقاداً هادمين وبالغوا فى ذلك مبالغة شديدة .. وكادوا يطيحون بكل شىء(٣١) .

الدكتور زكى نجيب نقد نفسه وأعلن توبته ولكنه عاد فانتكس :

يقول الدكتور كمال عبداللطيف فى مقاله « التبعية العمياء » : (إن الفلسفة الوضعية كما نقلها وبشر بها زكى نجيب تشكل نموذجاً للتيار الفلسفى التابع ، حيث كان وفياً لها ولم يكن وفياً لمتطلبات مجتمعه . لأن هذه الفلسفة لم تقدم حلاً نظرياً لمشاكل هذا المجتمع بقدر ما عبرت عن شغف صاحبها بتراث الغرب . ولذلك انعدم تأثير هذه الفلسفة فى الفكر والواقع . مما جعل صاحبها يزعم أنه تراجع عن مبادئه فى نغمة صحفية حزينة فى كتابه « تجديد الفكر العربى » ص ٥ ، ٦ طبعة دار الشروق سنة ١٩٧١،حيث يقول : (لم تكن قد أتيحت لكاتب هذه الصفحات فرصة طويلة تمكنه من مطالعة صحائف تراثنا العربى على

(٢٧) المرجع السابق ص ١٨٤ عن كتاب فلسفة العلم لصلاح قنصوه ص ٧ .
(٢٨) المرجع السابق ص ١٩٦ عن كتاب مشكلة الفلسفة لزكريا إبراهيم ص ٧٦ .
(٢٩) المرجع السابق ص ١٨٠ عن كتاب طريق الاستقلال الفلسفى لناصيف نصار ص ٣٣ ، ٣٤ .
(٣١) الاتجاهات المعاصرة فى الفلسفة . عبدالفتاح الديدى ص ٢٧٦ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

مهل لأن الفكر الأوربى كان دراسته وهو طالب . والفكر الأوربى كان تدريسه وهو أستاذ . ثم أخذته فى أعوامه الأخيرة صحوة قلقة . واستيقظ بعد أن فات أوانه أو أوشك . فطفق يزدرد تراث آبائه)[٣١] .

ويعترف زكى نجيب نفسه فى كتابه « فلسفة وفن » ص ٢٤٨ بأنه النصير الوحيد فى الوطن العربى للمنطقية الوضعية . وأنه يكاد يكون فى الميدان وحيدا يتكلم لغير سامع ويكتب لغير قارىء[٣٢] .

أدلة انتكاستـه :

بعد أن سلم د . زكى نجيب بسيطرة الفكر الأوربى عليه . وأنه النصير الوحيد للفلسفة الوضعية الملحدة فى بلدنا . وبعد أن أظهر ندمه وتوبته عن ذلك ، وأكد عزمه على تصحيح موقفه بالنسبة إلى تراث الآباء نجده بعد ذلك كله يعود إلى سابق حاله من السخرية والتهكم على كل ما له صلة بدين الإسلام وتراثه . ودليل ذلك ما يلى :

١ – كتابا الفلسفة والمنطق للشهادة الثانوية اللذين نحن بصددهما الآن .

٢ – قوله فى مجلة « آخر ساعة » إن من أسباب انتشار الزى الإسلامى للمرأة أخيرا هو رغبتها فى توفير أجرة « الكوافير ». فانظر كيف أرجع أسباب الصحوة الإسلامية إلى علل مادية تتفق مع مذهبه الحسى .

(٣) **هجومه ثانية على حجاب المرأة المسلمة فى جريدة الأهالى ١٩٨٦/٦/٢٥** . حيث قال : (إن ظاهرة الحجاب دليل على أننا نمر بحالة مزرية من التخلف . وأنه لا يعقل أن تنهض المرأة المصرية فى الجيلين الماضيين ثم تأتى اليوم وتتخلف مرة أخرى بوضعها تلك العمامة على رأسها) .

(٤) **سخريته من المرأة المسلمة المحجبة فى اهرام ١٩٨٤/٤/٩** حيث قال : (إن المرأة المصرية فى الأعوام الخمسين التى امتدت من أول هذا القرن حطمت قيود الحريم ، واستردت كرامتها المفقودة وإنسانيتها الضائعة . أما اليوم فقد ضحك عليها من ضحك وخدعها من خدع . وكانت مأساتها أن جازت عليها الحيلة فصدقت أن دنياها ليست هى دنيا الناس من علم وعمل وفن وأدب وفكر ورأى) .

ويرد عليه د . حلمى القاعود فى جريدة الشعب ٨٤/٦/١٢ قائلا أن هذا الكلام فيه من الضلال والإضلال الكثير . لأن المرأة المسلمة المحجبة تشارك فى الحياة العامة العلمية والعملية بخطوات واثقة ونشيطة

---

(٣١) الفلسفة فى الوطن العربى المعاصر ص ٢١١ . د . كمال عبداللطيف . جامعة الرباط . كلية الآداب .

(٣٢) المصدر نفسه ص ١٧٢ .

فى إطار ما يريده الإسلام من المرأة . فهل ارتدت المرأة المسلمة إلى عصر الحريم كما يسميه د . زكى نجيب) ثم يقول : (ونود أن نسأل د . زكى نجيب : من الذى ضحك على المرأة المصرية لتستعيد هويتها الإسلامية ؟ ولِمَ لَمْ يتحدث بشجاعة عن هؤلاء الذين ضحكوا عليها إن كان يحترم الخلق العلمى ؟).

وتستمر سخرية د . زكى نجيب من حجاب المرأة المسلمة فيقول : (المرأة اليوم تتبرع سلفا بحجاب نفسها قبل أن يأمرها بالحجاب والد أو زوج) . ثم يدعى د . زكى نجيب بأن حجاب الوجه هذا يتحول إلى حجاب للفكر أيضا . ويدعى أيضا بأن الحجاب يحول المرأة إلى سلعة من عهود الحريم تباع وتشترى .

(٥) **امتداحه ما فعلته هدى شعراوى بأهرام ٨٤/٥/٧** حيث يقول : (إنها عقب ثورة سنة ١٩١٩ ألقت ببرقعها فى البحر إيذانا بدخول المرأة المصرية عصر النور) . وهو بذلك يسخر من الحجاب باعتباره قطعة قماش ترمز إلى معنى تحتمه الشريعة الإسلامية .

ومهما يكن من أمر فإن د . زكى نجيب رغم طعناته الجارحة ، قد أحسن إلينا من حيث لا يدرى ، فقد حرك الأفئدة والعقول للدفاع عن الحمى المستباح الذى هو الدين الإسلامى[1] .

(٦) **زرايته بفكر الأمة – سلفه وخلفه** – : حيث زعم فى أهرام ١٩٨٧/١/١٣ بأن الحملة الفرنسية على مصر قسمتنا فكرياً إلى فريقين . **فريق السلف** : ومثل لهم بمن يقول بأنه من « أهل الخطوة » وأنه بإمكانه أن يكون هنا وهناك فى وقت واحد . **وفريق آخر** : أقبل على كل جديد أتت به الحملة الفرنسية . ولكن يعيبهم أنهم كالفريق الأول فى اعتمادهم على الحفظ والتكرار دون إبداع أو تجديد .

وهو بهذا التقسيم يشوه تراث الأمة الذى اعترف بقيمته من قبل . كما يشوه نهضتها الحاضرة فى شتى المجالات والتى جاءت من منطلق العقيدة لا من منطلق التقليد الأعمى لحضارة الغرب .

---

(١) من مقال حلمى القاعود بجريدة الشعب ١٩٨٤/٦/١٢ .